شرح قصيدة حكم المنية في البرية جار

تعتبر هذه القَصيدَة من أشهر قصائد الشاعر أبي الحسن التهامي، وقد صنعت له شهرةً فاقت الآفاق في أنحاء العالم الإسلامي منذ انتشارها، فقد قال في مطلعها: حُكمُ المَنِيَّةِ في البَرِيَّةِ جارِي ما هَذِهِ الدُنيا بِدار قَرار، حيث يتناول فيها الشاعر أحوال الدنيا وسنتها في الموت والفناء، وقد كتبها في رثاء ولده الذي مات صغيرًا وحزن عليه حزنًا شديدًا، فكانت القصيدة من أجمل ما قيل في الرثاء في ذلك الوقت، وقد نظمَ القصيدة على البحر الكامل وقافية الراء المكسورة، ويبلغ عدد أبيات القصيدة 99 بيتًا، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شَرح القَصيدة بشكل مفصل:

حُكمُ المَنِيَّةِ في البَرِيَّةِ جارِي
ما هَذِهِ الدُنيا بِدار قَرار
بَينا يَرى الإنسان فيها مُخبِراً
حَتَّى يُرى خَبَراً مِنَ الأَخبارِ

يبدأ الشاعر قصيدته بحكمة عظيمة عن الحياة وسنتها في الفناء فيقول: إنَّ حكم وسنة الموت مستمرة وجارية في هذه الحياة بين الناس، وهي أنَّ لا خلود لإنسان في هذه الدنيا وأنَّ الدنيا ليست بدار استقرار على الإطلاق، فهي ممر عبور إلى العالم الآخر، حيث يمكن أن يكون الإنسان مخبرًا عن أحداث أخرى وعن موت الآخرين، ثمَّ بعد حين يكون هو نفسه أحد الأخبار التي ينتاقلها الناس بموته ويصبح ذكرى.

طُبِعَت عَلى كدرٍ وَأَنتَ تُريدُها
صَفواً مِنَ الأَقذاءِ وَالأَكدارِ
وَمُكَلِّف الأَيامِ ضِدَّ طِباعِها
مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جَذوة نارِ

ومن صفات هذه الدنيا اللازمة لها على الدوام أنها دار تعب وحزن وألم، ويريدها الإنسان أن تكون سعادة وراحة على الدوام وهذا من المحال، لأنَّ الشخص الذي يريد أن تكون الأيام ضدَّ ما هي عليه من صفات دائمة لها، مثل الشخص الذي يريد أن يأخذ من الماء شعلة نار، فكلاهما يطلب المستحيل الذي لن يتحقق.

وَإِذا رَجَوتَ المُستَحيلَ فَإِنَّما
تَبني الرَجاءَ عَلى شَفيرِ هارِ
فَالعَيشُ نَومٌ وَالمَنِيَّةُ يَقظَةٌ
وَالمَرءُ بَينَهُما خَيالٌ ساري

وأنت أيها الإنسان الذي تطلب تحقيق المستحيل والخلود في هذه الدنيا وكأنك تبني قصر رجائك وأملك على حافة غير مستقرة توشك أن تسقط بذلك البناء، فما الحياة سوى غفوة قصيرة توشكُ أن تستيقظ منها بالموت، فالناس كما قيل أموات إذا ماتوا انتبهوا، وما الإنسان بين الغفوة واليقظة سوى شبح يمر بلمحة بصر ويختفي.

وَالنَفسُ إِن رَضِيَت بِذَلِكَ أَو أَبَت
مُنقادة بِأَزِمَّةِ الأَقدارِ
فَاِقضوا مآربكم عُجَالاً إِنَّما
أَعمارُكُم سِفرٌ مِنَ الأَسفارِ

ومهما فعلت أيها الإنسان فإنَّ القدر هو نفسه، فإذا رضيت بهذه الأقدار أو رفضتها فإنَّك من دون شكٍّ منقاد إلى الأقدار المحددة لك، وعليكم أيها الناس أن تسارعوا إلى تحقيق غاياتكم في هذه الدنيا قبل فوات الأوان، لأنَّ أعماركم قصيرة مثل رحلة عابرة توشك أن تنتهي.

قَد لاحَ في لَيلِ الشَبابِ كَواكِبٌ
إِن أَمهلت آلَت إِلى الإِسفارِ
يا كَوكَباً ما كانَ أَقصَرَ عُمرَهُ
وَكَذاكَ عُمرُ كَواكِبِ الأَسحارِ

في هذه الأبيات يبدأ الشاعر بالحديث عن ولده الذي مات صغيرًا، فيقول لقد لاح ابني مثل كوكب في بدايته ثمَّ اختفى بسرعة، ولو أمهله الموت بعض الوقت لاستدار وأصبح بدرًا كاملًا وعاش ريعان شبابه، ويخاطبه بقوله: يا كوكبًا كان عمره قصيرًا جدًّا، هكذا دائمًا يكون عمر الكواكب التي تظهر في السحر فإنها لا تلبث أن تظهر حتى تختفي إلى الأبد.

وَهلال أَيّامٍ مَضى لَم يَستَدِر
بَدراً وَلَم يمهل لِوَقتِ سِرارِ
عَجِلَ الخُسوف عَلَيهِ قَبلَ أَوانِهِ
فَمَحاهُ قَبلَ مَظَنَّةِ الإِبدارِ

ولم تمهلك الأيام حتى تصبح بدرًا فخطفك الموت بسرعة، وقد عجل وأسرع إليك الخسوف أي الموت قبل الوقت الذي يتيح لك أن تصبح بدرًا، ومحاك من الوجود وأنت ما تزال في بداية صباك.

واستَلَّ مِن أَترابِه وَلِداتِهِ
كَالمُقلَةِ استَلَت مِنَ الأَشفارِ
فَكَأَنَّ قَلبي قبره وَكَأَنَّهُ
في طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الأَسرارِ

وقد استله الموت من بين أقرانه كما تنتزع العين من بين الجفون، وبعد ذلك صرت أشعر أنَّ قلبي قد أصبح قبره وقد دفنَ فيه إلى الأبد ولا يمكن أن يخرج منه، وقد أصبح أحد الأسرار التي تطوى دون أن يعرف فيها أحد.

أَشكو بُعادك لي وَأَنت بِمَوضِعٍ
لولا الرَدى لَسَمِعتَ فيهِ سَرارِي
أَخفي مِنَ البُرَحاء ناراً مِثلَما
يَخفي مِنَ النارِ الزِنادَ الواري
وَأُخَفِّضُ الزَفَرات وَهيَ صَواعِدٌ
وَأُكفكِفُ العَبرات وَهيَ جَواري

ما زلت يا صغيري أشكو بعدك رغم أنَّك في قبرك قريب جدًّا مني، ولولا أنك ميت لسمعت مناجاتي لنفسي كل يوم في حزني عليك وعلى فراقك، وما زلت أخفي الشدة التي نزلت بي مثل نار ملتهبة بعد فراقك مثلما يخفي قدح الشرر في النار.

أَبكيهِ ثُمَّ أَقولُ مُعتَذِراً لَهُ
وُفِّقتَ حينَ تَرَكتَ آلامَ دارِ
جاوَرتُ أَعدائي وَجاوَرَ رَبَّهُ
شَتّانَ بَينَ جِوارِهِ وَجِواري

وأنا من حزني على فراقك أبكيك في كل وقت ولكنني رغم ذلك أعتذر منك وأقول لك لقد أنعم الله تعالى عليك إذ غادرت دارًا تمتلئ باللؤم والغدر والقهر والظلم، وقد غادرت من هذه الدنيا لتجاور الخالق جلَّ وعلا بينما أنا هنا أجاور الأعداء، وهنالك فرق كبير بين جواري وبين جوارك الذي هو خير جوار بإذن الله تعالى.

الصور الفنية في قصيدة حكم المنية في البرية جار

إنَّ قصيدة الشاعر أبي الحسن التهامي تحتوي على الكثير من الصور الفنية والبلاغية، وتعمل تلك الصور على نشر حالة من الموسيقى اللغوية في النص إضافة إلى ترصيع القصيدة بألوان متميزة وتزيين العبارة الشعرية، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية والبلاغية فيها:

- **أسلوب الكناية**: ورد أسلوب الكناية أكثر من مرة في القصيدة كما في قول التهامي: وَإذا رَجَوتَ المُستَحيل فَإِنَّما تَبني الرَجاءَ عَلى شَفيرِ هارٍ، شبَّه التهامي الرجاء بشيء يمكن أن يبنى لكنه لم يذكره بل ذكر فقط ما يدل عليه وهو إمكانية البناء في قوله "تبني".
- **أسلوب الطباق**: ورد أسلوب الطباق أيضًا في القصيدة كما في قول الشاعر: طُبِعَت عَلى كدرٍ وَأَنتَ تُريدُها صَفواً مِنَ الأَقذاءِ وَالأَكدار، ورد الطباق في كلمتي كدر وصفو وهما كلمتان متعاكستان في المعنى.
- **تشبيه مؤكد**: ورد التشبيه المؤكد في القصيدة في قوله: وَمُكَلِّف الأَيامِ ضِدَّ طِباعِها مُتَطَلِّب في الماءِ جَذوة نار، فقد شبَّه الشاعر مكلف الأيام بالمتطلب من الماء، ووجه الشبه هو طلب الأمر المستحيل الذي دل عليه الكلام، وحذف الشاعر أداة الشبه فكان الأسلوب تشبيهًا مؤكدًا.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة حكم المنية في البرية جار

هنالك كثير من الكلمات التي يمكن أن يعتبرها بعض الأشخاص صعبة الفهم في قصائد الشعراء العرب وخصوصًا في القصائد القديمة منها، وقد تكون بعضها من الكلمات التي لا يجري استخدامها بين الناس في الحياة العامَّة ولذلك يجب أن يتمَّ البحث في معاجم اللغة العربية عنها، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح المفردات الصعبة في القصيدة سابقة الذكر:

المفردة	شرح المفردة
كدر	تعب وضنك
الأقذاء	الأوساخ والتراب الذي يدخل العين

جذوة	شعلة
شفير	جانب أو حافة
عجالا	مسرعين
آلت	تحولت
مظنة	مكان وموضع الظن
الإبدار	التحول إلى بدر
لداته	أقرانه وأترابه وأمثاله
البرحاء	الشدة والمشقة
ألأم	اسم تفضل من اللؤم
شتان	بعُد واختلف كثيرًا